جَلَالُ الدِّيْنِ الدَّوَّانِي
وَآرَاؤُهُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

رياض سُحَيب روضان الحميداوي
قسم رياض الأطفال / كلية التربية الأساسية / جامعة واسط

المقدمة :

يُعَدُّ عالم الكلام الشيعي الإمامي جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني (٨٣٠ ـ ٩١٨ ه = ١٤٢٧ ـ ١٥١٢ م) ، من أبرز الشخصيات الكلامية التي ظهرت أبان (القرن التاسع والعاشر الهجريين = الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ، والتي كان لها حضورٌ بيِّنٌ في الساحة الكلامية التي مُلِئَتْ بمختلف الصراعات الفكرية الكلامية من إمامية ، ومعتزلة ، وأشعرية ، وغير ذلك ، فالمحقق الدواني لم يحظَ ـ كغيره من علماء الكلام ـ بدراسة أكاديمية منهجية علمية مستفيضة ، إذْ لم تُسَلَّطِ الأضواءُ عليهِ كثيرًا في أقسامِنا الفلسفيةِ في العراق ، فأرى من واجبي الأخلاقي والعلمي ، المتمثل بدافع البحث ، أنْ أعتز بعالم كلامٍ مشهور في الوسط العلمائي ، تلبية لدواعي الإخلاص له ، وللاستفادة العلمية ، وتعريفًا بمقامه الفكري الكلامي ، وتحقيقاً لهذه الأغراض ، آثرت الكتابة عنه ، متمثلة بهذا البحث المتواضع .

إنَّ الباحث المتأمل والمدقق في تاريخ الفكر الكلامي بعامة ، والإمامي بخاصة ، يجد أنَّ المتكلم الإمامي الدواني كان من ممثلي مدرسة الإمامية على الصعيد الفقهي والكلامي في الحقبة الزمنية التي أعقبت عالم الكلام الإمامي نصير الدين الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢ ه = ١٢٠٠ ـ ١٢٧٤ م) ، وكمالُ الدينِ مِيْثَمُ بنُ علي البحراني (٦٣٦ ـ ٦٩٩ ه = ١٢٣٨ ـ ١٢٩٩ م) ، والحسن بن يوسف العلامة الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ ه = ١٢٥٠ ـ ١٣٢٥ م) ، ومعاصرًا للمتكلم الأصولي المنطقي الأشعري حبيب الله الشيرازي المشتهر بملا ميرزا جان الباغوني (ت ٩٤٤ ه = ١٥٣٧ م) ، فالدواني غني عن التعريف ، في الواقع ، إذْ أنه عالمُ كلامٍ بارز في الوسط الكلامي ، فموسوعيته في التأليف ، وتحقيقه في المباني والنظريات الكلامية ، كل ذلك مكنه من تصنيف مؤلفاته في شتى أنواع المعارف والعلوم ، وهذا إنما يدل على عقلية علمية موضوعية كبيرة ، يجد فيها الباحث فنونًا وألوانًا من الثقافة ، كعلم الكلام ، والمنطق ، والتفسير ، والفقه وأصوله ، والأدب (الشعر) .

إنَّ الموضوع الذي اخترته مشروعًا للبحث ، هو دراسة مبحث الإلهيات في دائرة علم الكلام عند جلال الدين الدواني ، بعدِّه من المباحث الكلامية (جليل الكلام) ، التي تناولها في تأليفاته القيمة ، وبحثها بمنهجية ، ودراسة تحليلية مستفيضة ، تكشف عن مقدرته على فهم واستيعاب مطالب الأبحاث الإلهية ، ليكمل سلسلة البحوث الكلامية بعد نصير الدين الطوسي وميثم البحراني والعلامة الحلي .

إنَّ عملية سير البحث تمثلت بقراءتي لنصوص الدواني ، فقمت بفرز الشواهد الكلامية في الإلهيات ، تجمعت في نهاية القراءة مجموعة من النصوص تم تصنيفها على وفق عناوين أكبر ، كشفت محاولة جلال الدين في تسليط الضوء على المطالب الكلامية في الإلهيات ، وذلك نابع عنده من منظورين : (العقل والنقل) . ولا ريب أن ميله نحو هذين المنظورين مرتبط بمحاولاته الكلامية العلمية الموضوعية ، لتقديم فهم عام شمولي موحد ، مؤسس على المنهج الكلامي العقلي والنقلي .

لقد كان الدواني موفَّقًا في فهم المطالب الكلامية وفي تسلسل موضوعات بحثه الكلامي ، فهو يضع الحلُوْلَ الفَلْسَفِيَّةَ وَالكَلَامِيَّةَ الَّتِي تَسْتَنِدُ إِلَى التَّصَوُّرَاتِ وَالتَّصْدِيقَاتِ وَالأَقْيِسَةِ البُرْهَانِيَّةِ اليَقِيْنِيَّةِ فِي دَعْمِ حُلُوْلِهِ تِلْكَ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الثَّوَابِتِ الأَسَاسِيَّةِ لِلدِّيْنِ مُلَقِّحاً إِيَّاهَا بِالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ ، لِيُحَاوِلَ أَنْ يُؤَكِّدَ عُمْقَ الصِّلَةِ بَيْنَ النَّقْلِ وَالعَقْلِ ، لِيَنْتَقِلَ إِلَى البَحْثِ الفَلْسَفِي وَالكَلَامِي فِي مُشْكِلَةِ العَالَمِ وَالطَّبِيْعَةِ وَالمَوْجُوْدَاتِ ، وَالعَلَاقَةِ بَيْنَ وَاجِبِ الوُجُوْدِ لِذَاتِهِ وَالطَّبِيْعَةِ ، وَتَحَقُّقِ إِرَادَتِهِ ـ تَعَالَى ـ فِي الوُجُوْدِ الطَّبِيْعِي بِمَا فِيْهِ مِنْ جَوَاهِرَ وَأَعْرَاضٍ وَطَبَائِعَ لِلمَوْجُوْدَاتِ وَالأَشْيَاءِ الطَّبِيْعِيَّةِ .

لَقَدِ آتَّخَذْتُ مِنْ عِلْمِ الكَلَامِ (دِرَاسَةً فِي الإلهيات بالمعنى الكلامي) مَوضوعا لِبَحْثِي هَذَا ، لأَتَبَيَّنَ حَقِيْقَةَ جُهْدِهِ فِي هَذَا المَيْدَانِ ، مُعْتَمِداً فِي دِرَاسَتِي عَلَى نُصُوْصِهِ الَّتِي تَبْحَثُ فِي هَذَا الجَانِبِ ، فَضْلاً عَنْ أَهَمِّ الدِّرَاسَاتِ وَالبُحُوْثِ المُتَعَلِّقَةِ بِهِ ، لِفَهْمِ وَتَحْلِيْلِ مَا تَعَسَّرَ عَلَيَّ فَهْمَهُ مِنْ نُصُوْصِهِ ، فَآتَّخَذْتُ مِنَ المَنْظُوْرِ التَّارِيْخِي التَّكَامُلِي الجَامِعِ بَيْنَ العَقْلِ وَالنَّقْلِ فِي إِطَارٍ مِنَ التَّحْلِيْلِ وَالتَّرْكِيْبِ ، مَنْهَجاً فِي دِرَاسَتِي هَذِهِ ، بَعْدَ أن تَيَسَّرَ لِيَ الحُصُولُ عَلَى نُصُوْصِهِ الكَلَامِيَّةِ القَيِّمَةِ مِنْ مَظَانِّ كُتُبِهِ ، فَجَعَلْتُهَا سَبِيْلاً لِلْوُصُوْلِ إِلَى مَعْرِفَةِ آرَائِهِ ، وَآسْتِخْلَاصِ أَهَمِّ النَّتَائِجِ مِنْهَا،وَتَقْدِيْمِهَا لِلْقَارِئِ الفَاضِلِ.

أَمَّا آلـهَدَفُ مِنَ آلبَحْثِ ، فَقَدْ جَاءَ لِيُبَيِّنَ مُحَاوَلَةَ آكْتِشَافِ آلـمَعَالِمِ آلكَلَامِيَّةِ آلإِلَهِيَّةِ لِمنهج الدواني ، وَمُعَالَـجَتَهَا على وفق منظوره الكلامي .

لقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة . تَنَاوَلْتُ فِي المُقَدِّمَةِ خَارِطَةً مُصَغَّرَةً لِلْبحث . أَمَّا الَمبحث الأَوَّلُ، فَتَكَلَّمْتُ فِيْهِ عَنْ حَيَاةِ الدواني ، ونشأته العلمية ، وَتَضَمَّنَ مطلبين :

الأَوَّلَ : حَيَاتَهُ وَسِيْرَتَهُ العلمية . وَالثَّانِي : مَنْهَجَهُ فِي التَّأْلِيْفِ وَآثَارَهُ . وَأَمَّا المبحث الثَّانِي ، فَدَرَسْتُ فيْهِ مطلبين في عِلْمَ الكَلَامِ (الإلهيات) : آلمَطلب آلأَوَّلَ : وُجُوْدَ (آللهِ) ـ تَعَالَى ـ ومعرفته . آلمَطلب آلثَّانِي :صفاتِ (آللهِ) ـ تَعَالَى ـ عنده .

وَأَمَّا الخاتمةُ ، فآسْتَعرَضْتُ فيهَا خُلَاصَةً مُرَكَّزَةً لأَهَمِّ النَّتَائِجِ الكَلَامِيَّةِ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهَا فِي البَحْثِ . وَأَخِيْراً لَيْسَ لِي أَنْ أَدَّعِيَ ، فِيْمَا أَنْجَزْتُ ، الكَمَالَ ، فَإِنَّهُ لِلَّهِ ـ تَعَالَى ـ ، وَحْدَهُ . أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ لِي . كَمَا أَسْأَلُهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا العَمَلَ بِأَحْسَنِ القَبُوْلِ ، وَالَّذِي آمَلُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ طُلَّابُ الفَلْسَفَةِ وَالعِلْمِ ، وَكُلُّ مَنْ لَهُ آهْتِمَامٌ بِالمَعْرِفَةِ .

المبحث الأوَّل : حياة الدواني ونشأته العلمية : المطلب الأَول : حياته وسيرته العلمية

أولًا : ولادته :

هو جلال الدين محمد بن سعد الدين الصديقي الدوَّاني الشيرازي ، المنتهي نسبه إلى محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة (١٠ ـ ٣٨ هـ = ٦٣٢ ـ ٦٥٨ م) ، المعروف بالمحقق الدوَّاني ، ولد الدُّوَّاني في قرية (دُوَّان) كما في قولنا (رُمَّان) من قرى (كازرون) ببلاد إيران [١] . وقد ذكرت بعض المصادر والمراجع أنَّ المحقق الدوَّاني ـ رحمه الله ـ كان في أوائل أمره على مذهب أهل السنة ثم انتمى إلى مدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، وقد صرح بتشيعه بنفسه في رسالته (نور الهداية) الفارسية المطبوعة ، وقد ذكره محمد مهدي بحر العلوم (١١٥٥ – ١٢١٢ ه = ١٧٤٢ – ١٧٩٨ م) في رجاله [٢] .

ثانيًا : نشأته العلمية :

قرأ المحقق الدوَّاني العلوم العقلية ـ كالفلسفة والمنطق ـ والدينية والأدبية على يد أمهر العلماء والأساتذة المعروفين وقتذاك ـ وسأتطرق إلى ذكر أسمائهم وتاريخ ولادتهم ووفاتهم في هذا المطلب ـ ، ثم سافر إلى مدينة شيراز ، وبعدها تنقل بين العديد من المدن في الجزيرة العربية والعراق [٣] ، وبعد أن فرغ من التحصيل العلمي ، ولي مهنة التدريس في مدرسة الأيتام والقضاء في مدينة (شيراز) ، وفي مدة قليلة وصل فضله وكماله إلى أطراف العالم واقتبس جماعة كثيرة من أنوار علومه ، واخلاقه ،اذ كان فاضلا صالحا متواضعا ، فصيحا بليغا ، فصار محسودا بين اقرانه [٤] .

ثالثًا : أساتذته ومنهم [٥] (لم أقف على سنوات ولاداتهم ووفياته) :

١ : عبد الله (أبو يزيد ، قطب الدين) بن محيي الدين الأنصاري الجهرمي الكوشكناري السعدي .

٢ : همام الدين . ٣ : حسن البقال .

رابعًا : تلامذته ومنهم [٦] (لم أقف على سنوات ولاداتهم ووفياتهم) :

١ : محمد (جمال الدين) الاسترابادي . ٢ : حسين اليزدي . ٣ : محمود (جمال الدين) الشيرازي . ٤ : حسين (كمال الدين) الآري . ٥ : منصور الباغنوتي . ٦ : إسماعيل التبريزي .

٧ : أسعد الحق اليزدي . ٨ : عبد الصمد (كمال الدين) البغدادي . ٩ : الحسين (القاضي) بن معين الدين .

المطلب الثاني :منهجه في التأليف وآثاره . أولًا : منهجه في التأليف :

لقد استقى الدواني مادة مؤلفاته من تصانيف العلماء الذين سبقوه ، فكتب الكثير من المؤلفات في الفلسفة ، والمنطق ، وعلم الكلام ، والاخلاق ، والفقه وأصوله ، والتفسير ، والحديث ، إلى غير ذلك ، فاستطاع من خلال موسوعيته أن يصنف آثاره كل حسب الاختصاص العلمي . ويجد الباحث أن مؤلفاته قد احتلت المكانة السامية بين الأسفار الجليلة التي أنتجتها عقول علماء الشيعة الإمامية ، وكيف لا وقد جمعت كتبه معظم العلوم الإسلامية ، أصيلة وفرعية ، فقد تضمنت كتبه الكلامية حل معضلات المباحث الفلسفية والكلامية ، كما احتضنت كتبه في الفقه ما يحتاج إليه علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، فكانت كتبه زاخرة بآرائه القيمة لاسيما في مجال الفلسفة والكلام والمنطق .

ثانيًا : آثاره [٧] :

لقد عُرِفَتْ مصنفات الدواني بعلميتها ومنهجيتها وموسوعيتها ، فقد ألف في جميع العلوم الإسلامية ، وكانت أكثرها شروحًا وحواشٍ ، حظيت باهتمام العلماء ودراساتهم ، فقد كتب باللغتين العربية والفارسية ، وسأذكر مؤلفاته كل حسب الاختصاص :

أ : الفلسفة وعلم الكلام :

١ : عين الحكمة . ٢ : رسالة في بيان الماهية والهوية . ٣ : الرسالة القديمة في اثبات واجب الوجود . ٤ : الرسالة الجديدة في اثبات واجب الوجود . ٥ : شرح العقائد

العضدية . ويعرف بعنوان : (العقائد الجلالية) . كتاب (العقائد العضدية) لعالم الكلام : (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي الشافعي) (٦٨٠ – ٧٥٦ ه = ١٢٨١ - ١٣٥٥ م) . ٦ : الحاشية القديمة على شرح التجريد . الشرح لعالم الكلام : (علاء الدين علي بن محمد القوشجي) (ت ٨٧٩ ه = ١٤٧٤ م) ، على كتاب تجريد العقائد للفيلسوف الإسلامي (محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي) (٥٩٧ - ٦٧٢ ه = ١٢٠٠ - ١٢٧٤ م) .

٧ : الحاشية الجديدة على شرح التجريد . ٨ : رسالة الحوراء والزوراء في تحقيق المبدا والمعاد .

٩ : أنموذج العلوم . ١٠ : رسالة في مسالة خلق أفعال العباد . ١١ : رسالة في إيمان فرعون .

١٢ : رسالة في تعريف علم الكلام . ١٣ : رسالة في الجبر والاختيار . في الفارسية .

١٤ : نور الهداية في الإمامة . في الفارسية . ١٥ : شواكل الحور في شرح هياكل النور . كتاب (هياكل النور) للفيلسوف الإسلامي : (شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي) (٥٤٩ - ٥٨٧ ه = ١١٥٤ - ١١٩١ م) . ١٦ : رسالة في حل مغالطة مشهورة باسم : (الجذر الأصم) .

١٧ : الرسالة التهليلية .

ب : علم المنطق :

١ : حاشية على شرح المطالع . الشرح لعالم الكلام : (علي بن محمد الجرجاني) (٧٤٠ – ٨١٦ ه ، ١٢٣٩ – ١٤١٣ م) . وكتاب (مطالع الأنوار) لعالم المنطق : (سراج الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر الأرموي الشافعي) (٥٩٤ – ٦٨٢ ه = ١١٩٨ – ١٢٨٣ م) .

٢ : حاشية على شرح الشمسية . الشرح للفيلسوف الإسلامي : (قطب الدين محمود بن أحمد الرازي) (٦٩٤ – ٧٦٦ ه ، ١٢٩٥ – ١٣٦٥ م) ، وكتاب (الشمسية) للفيلسوف الإسلامي : (نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني) (٦٠٠ – ٦٧٥ ه ، ١٢٠٣ – ١٢٧٧ م) .

٣ : حاشية على كتاب المحاكمات لقطب الدين الرازي . ٤ : شرح تهذيب المنطق . لمؤلفه : مسعود بن عمر (سعد الدين) التفتازاني (٧١٢ - ٧٩٣ هـ ١٣١٢ - ١٣٩٠ م) .

٥ : رسالة في تفسير العلم .

ج : التصوف والعرفان : رسالة في خواص الحروف .

د : الأخلاق : كتاب (لوامع الإشراق في مكارم الأخلاق) ، وهو بالفارسية ومعروفا باسم : (أخلاق جلالي) .

ه : التفسير وعلوم القرآن : ١ : تفسير سورة التوحيد . ٢ : تفسير سورة الكافرون . ٣ : تفسير سورتي : (الفلق والناس) . ٤ : الاسئلة الشريفة القرآنية . ٥ : رسالة صيحة وصدى نور الهداية.

و : الحديث : الأربعون السلطانية في الأحكام الربانية .

ز : الفقه : تعليقة على كتاب (الأنوار لعمل الأبرار) . للفقيه الشافعي : (جمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي) (ت ٧٩٩ ه = ١٣٩٧ م) .

ح : علم الهيئة : حاشية على شرح الجغميني . لعالم الفلك : (شرف الدين محمود بن محمد الجغميني الخاورزمي (ت ٦١٨ ه = ١٢٢١ م) .

ط : علوم الرياضيات : شرح الرسالة النصيرية : (في الحساب والجبر والمقابلة) . والرسالة النصيرية للفيلسوف الإسلامي : (نصير الدين الطوسي) .

ي : التراجم : ثبت : في ذكر أساتذته .

ك : متفرقة : الرسالة القلمية .

المبحث الثَّاني : عِلْم الكَلَام (الإلهيات) :

آلمَطلب آلأَوَّلَ : وُجُوْد (آللهِ) - تَعَالَى - ومعرفته .

إنَّ واجب الوجود بذاته (الله) - تعالى - لا يحتاج في وجوده إلى علة خارجية ليتحقق وجوده ، وإنما هو غني عن غيره (= الممكن) ، فغيره هو الذي يفتقر في وجوده إليه - تعالى - ، إنه واحد من حيث وجوب الوجود بالذات لا بالعرض ، إذ لو كان وجود واجب الوجود ثانياً وبالعرض للزم الدور والتسلسل ، وهذا محال عقلاً . إذاً

هو علة العلل ، والغاية القصوى لسلسلة العلل والمعلولات الممكنة ، فإله العالم واحد لا شريك له في الخلق والإيجاد والإبداع والديمومة والعناية ، الذي خلق عالم الإمكان على أكمل وأجمل وأفضل نظام عرفته العقول الإنسانية ، فهو علة الوجود ، وهذا المعنى تضمن في قوله : ((إن الأجسام موجودة ، فهي إما واجبة ـ وليس كذلك ـ ، لان الواجب واحد وهي متكثرة مع انه مستلزم للمطلوب ، أو ممكنة ، وكل ممكن يحتاج إلى مرجح وذلك المرجح إما الواجب أو ما ينتهي إليه لاستحالة الدور والتسلسل .)) (٨) .

إنَّ الدليل على معرفة (الله) ـ تعالى ـ من جانب النفس الإنسانية التي تستخدم الجسد الإنساني ، إنما يتأتى من التأمل في مكونات وخواص النفس ، وما توجد فيها من إبداعات ومزايا إعجازية ، وكذلك الحال في أعضاء البدن البشري ، فكل ذلك لا يمكن أنْ يأتي من محض الاتفاق والصدفة ، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أنَّ مجموع الإنسان صادر من خالق مدبر حكيم أتقن صنعه الكامل فمعرفة النفس طريق إلى معرفة الرب ، وهذا ما بَّينه الدواني بقوله : ((الإشارة إلى حقيقة الناس ، فإنَّ معرفتها أم الحكمة وأصل المعارف ..... وفي كلام النبي [**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**] (٩) ..... [**من عرف نفسه فقد عرف ربه**] (١٠))) (١١) .

ثم يبين الدواني أنَّ الكثرة التي تصدر عن الصادر الأول ، وتكثرها الذي هو ناتج عن استعدادات الموجودات الممكنة للتكثر ، لا تخل بالقول أنَّ الصادر عن واجب الوجود إنما هو الممكن الأول الواحد فقال في بيان هذا المعنى : ((إن أول ما صدر عن الحق الأول نور مجرد واحد)) (١٢) .

ثم بين أن واجب الوجود بذاته لا توجد في ذاته كثرة بالضرورة ، باعتبار أنها بسيطة الحقيقة ، أما الذوات التي تتضمن الكثرة فهي ممكنة الوجود المفتقرة إلى علة خارجية لإيجادها ، وهي الله ـ تعالى ـ ، فقال : ((ضرورة إن الواجب ليس فيه كثرة أصلًا ..... كل ما فيه كثرة بوجه من الوجوه فليس بواجب فيكون ممكنًا فيحتاج إلى السبب .)) (١٣) .

وأكد الدواني أن الصادر الأول من الله ـ تعالى ـ هو علة الممكنات التي تحته في الشرف والكمال ، وبيَّن أنه حينما تصدر عنه الممكنات فليس بالضرورة يكون متصلًا بالجسم ، ففيه استعداد لذلك ، إذ قال : ((الصادر الأول يجب أنْ يكون علة لجميع ما عداه من الممكنات ، فلا يكون في فاعليته محتاجًا إلى الجسم .)) (١٤) .

ثم إن الصادر الأول عن واجب الوجود بذاته إنما هو أمر واحد لا يمكن أنْ يكون متعددًا أو مركبًا فحقيقته واحدة : ((إن الصادر الأول عن المبدأ الأول أمر واحد لا تعدد فيه ولا تركب أصلًا)) (١٥) .

المَطلب الثَّاني :صفات (الله) ـ تَعَالَى ـ عنده .

لقد ذكر الدواني صفات عدة لله ـ سبحانه ـ بينها كلاميًّا ، وهذا إنما يدل على معرفته وسعة اطلاعه على مسائل علم الكلام عامة ومسألة الصفات خاصة .

جميع الصفات الكمالية عين ذاته العلم والقدرة والإرادة فضلًا عن باقي الصفات كالحياة والسمع والبصر والكلام ، فقال : ((جميع الصفات الكمالية عين ذاته بمعنى انه من حيث انه سبب لانكشاف الأشياء عليه يقال علم ، ومن حيث أنه مبدأ للتأثير في الممكنات قدرة ، ومن حيث أنه مبدأ لعلمه الذي لا يغاير ذاته المحيط بالنظام الأصلح مخصص لأحد طرفي الممكن إرادة وهكذا في جميع الصفات .)) (١٦) .

لقد بين الدواني أن واجب الوجود بذاته ـ سبحانه ـ إنما هو واحد من جميع الوجوه ، أي بمعنى أنَّ صفاته الذاتية والفعلية لا يمكن أنْ تنفك عن الذات المطلقة المقدسة ، فذاته ـ عز وجل ـ بسيطة الحقيقة لا مركبة ولا متعددة ، فيقول في تفسير كلمة (أحد) في الآية الأولى من سورة (التوحيد) : ((فقوله ـ تعالى ـ : [احد] دال على أنه واحد من جميع الوجوه ، ولا كثرة هناك أصلا ، لا كثرة عقلية أعني كثرة المقومات من الجناس والفصول ، ولا كثرة الأجزاء العقلية أي المادة والصورة في الجسم ، أو كثرة حسية .)) (١٧) .

أما الذات الإلهية المقدسة فقد بَيَّنَ حكيمنا أنها منزهة عن التركيب والجسمية ، لأنها لو كانت كذلك لاحتاجت إلى علة خارجية لإيجادها ، وهذا محال عقلًا وخارجًا فقال : ((لأنه لو تركب لكان لها مدخل في وجودها وهو محال .)) (١٨) .

وإنه ليست في ذاته كثرة لأنها بسيطة في الحقيقة ، فواجب الوجود بذاته هو الموجود ((الحقيقي الذي ليس فيه جهة كثرة أصلًا ، لا في ذاته ولا في صفاته ، وهو الذي يسمى بالبسيط الحقيقي ، لامتناع كون الواحد المذكور قابلًا وفاعلًا معًا .)) (١٩) .

وقد بين الدواني أن صفات الذات (الصفات الثبوتية) عين ذاته ، فلا يمكن الفصل بينها وبين الذات المطلقة ، لأنه لو كان الأمر كذلك لافتقر في وجوده إلى غيره ، وفي هذا قال : ((لأنَّ الواجب بالذات لا يحتاج إلى الغير .)) (٢٠) .

إن جميع الممكنات مفتقرة في وجودها إليه ، ووجود الممكنات معلول لواجب الوجود بذاته ، فقال : ((إن الكل مستند إليه ومحتاج إليه ، فانه هو المعطي لوجود جميع الموجودات ، وهو الفياض للوجود .)) [٢١] .

أما الصفات السلبية فقد ذكر منها الدواني ، وبين أن الذات الإلهية المقدسة لا يمكن أن تتصف بها لأنها مطلقة وواجبة الوجود ، ومنها صفة الإمكان والجسمية والعرضية وغيرها ، فبين هذا المعنى بقوله : ((وأما السلبية فكالقدوسية فإنها عبارة عن سلب النقائص .)) [٢٢] .

ومنها أنه ـ عز وجل ـ ليس بجوهر ولا جنس ولا فصل ، فبين أنه ـ تعالى ـ : ((ليس له جنس ولا فصل)) [٢٣] . أكتفي بهذا القدر من النصوص للدواني حتى لا أخرج عن مقتضيات منهج البحث العلمي .

آلْخَاتِمَـةُ :

بعد هذه الرحلة الموجزة في المنظومة الكلامية للدواني ، أود تسجيل خلاصة مركزة لأهم النتائج التي تضمنها البحث :

١ : إنَّ الناظر إلى المؤلفات القيِّمة لجلال الدين يجد فيها الكثير من المفاهيم والمصطلحات الفلسفية والكلامية وغير ذلك ، وما يتعلق بالموضوع هو المفاهيم والمصطلحات الكلامية وهي تتطلب فهماً خاصاً .

٢ : إنَّ لعلم الكلام مفاهيمه ومصطلحاته ومسائله ، استطاع فيلسوفنا أن يستوعبها ويفهمها جيدًا ويقدم معالجات جديدة للموضوعات الكلامية ، صحيح أن موضوعات علم الكلام واحدة ، إلا أن الحلول والمعالجات للمسائل الكلامية ومشاكلها متعددة من حكيم إلى آخر .

٣ : لقد اعتمد حكيمنا في معالجته للمسائل الكلامية على المنهج (النقلي ، والعقلي ، والتكاملي ، والوجداني) . والمراد من المسائل الكلامية في هذا المقام هو الإلهيات في الأمور الخاصة (وجود الله ـ تعالى ـ ومعرفته ـ وصفاته) .

٤ : لقد كانت أفكار الدواني وآراؤه الكلامية وليدة عصره ، وهذا إنما يدل على سعة معرفته واطلاعه على الأفكار والآراء الكلامية السائدة في عصره .

٥ : لقد حاول حكيمنا أنْ يُثْبِتَ أدلته وآراءه في معرفة الله ـ تعالى ـ ووجوده وصفاته ، مما يدل على محاولته الجادة في التوفيق بين علم الكلام والفلسفة من جهة ، وبين معطيات الشريعة الإسلامية وعلم الكلام من جهة أخرى .

الهوامش :

(١) ينظر في ترجمته : خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي ، قاموس الأعلام ، ج ٦ ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٢ – ٣٣ . وعباس بن محمد رضا القمي ، ج ٢ ، تقديم : محمد هادي الأميني (معاصر) ، مكتبة الصدر ، (د.ط) ، طهران ، إيران ، (د.ت) ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ . وإسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص ٢٢٤ . ويوسف إلياس سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ج ١ ، تقديم : احمد باشا تيمور ، منشورات مكتبة شهاب الدين المرعشي النجفي ، (د.ط) ، قم المقدسة ، ١٤١٠ ه = ١٩٨٩م ، ص ٨٩١ – ٨٩٣ . وعمر رضا كحالة (معاصر) ، معجم المؤلفين ، ج ٩ ، مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص ٤٧ – ٤٨ . ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٧ ، دار الجيل ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢ ه = ١٩٩٢ م ، ص ١٣٣ . ومحسن بن عبد الكريم العاملي ، أعيان الشيعة ، ج ٩ ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص ١٢٢ .

وعبد الله نعمة ، فلاسفة الشيعة : حياتهم وآراؤهم ، قدم له : محمد جواد مغنية (١٣٢٢ – ١٤٠٠ ه = ١٩٠٤ – ١٩٧٩ م) ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٣٥ – ٤٤٠ . و(www.yahosein.com) ، موقع إلكتروني في شبكة الإنترنت ، ٢٣ / ٥ / ٢٠١٥ ، ص ١ – ٢ . وموقع الإمام الهادي ـ عليه الصلاة السلام ـ الإلكتروني في شبكة الإنترنت ، ٢٠ / ٧ / ٢٠١٥ ، ص ١ – ٢ .

(٢) محمد مهدي بحر العلوم ، الفوائد الرجالية ، ج ٢ ، حققه وعلق عليه : محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة الصادق ، ط ١ ، طهران ، إيران ، ١٩٨٤ م ، ص ١٤١ .

(٣) ينظر : محمد عبد الحق ومحمد كوكن في مقدمتهما وتحقيقهما على كتاب (شواكل الحور في شرح هياكل النور للسهروردي) لجلال الدين الدواني ، شركة بيت الوراق للنشر المحدودة ، ط ١ ، شارع المتنبي ، بغداد ، العراق ، والفرات للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ م ، ص ١١ ، وص ٣٨ .

(٤) ينظر : المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

(٥) يراجع في ذكر أساتذته : مركز الأبحاث العقائدية ، موسوعة من حياة المستبصرين ، ج ٥ ، الناشر : مركز الأبحاث العقائدية ، ط ١ ، قم المقدسة ، إيران ، ١٤٣٠ ه = ٢٠٠٩ م ، ص ٤٨٠ .

(٦) يراجع في ذكر تلاميذه : عبد الله نعمة ، فلاسفة الشيعة : حياتهم وآراؤهم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٥ – ٤٣٦ . ومركز الأبحاث العقائدية ، موسوعة من حياة المستبصرين ، ج ٥ ، المرجع السابق ، ص ٤٨١ .

(٧) يراجع في ذكر مؤلفاته : د. أحمد تويسركاني ، في مقدمته وتحقيقه وتصحيحه على الرسائل المختارة للدواني ، الناشر : مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ العامة ، أصفهان ، إيران ، ١٤٠٥ ه = ١٩٨٤ م ، ص ٢٥ وما بعدها . وخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي ، قاموس الأعلام ، ج ٦ ، المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٣ . وإسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني البغدادي ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ٢ ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ . وعبد الله نعمة ، فلاسفة الشيعة : حياتهم وآراؤهم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٧ – ٤٣٨ .

(٨) جلال الدين الدواني ، شواكل الحور في شرح هياكل النور ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(٩) يراجع هذا الحديث الشريف في المصادر التالية : محمد بن الحسن (أبو جعفر الطوسي) ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد ، منشورات مكتبة جامع جهلستون ، طهران ، إيران ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م ، ص ١٤ . ومحمد بن الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، تقديم : محمد مهدي الخرسان ، منشورات الرضي ، (د.ط) ، قم المقدسة ، إيران ، (د.ت) ، ص ٢٠ .

ومحمد بن الحسن (الحر العاملي) ، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ، منشورات مكتبة المفيد ، قم المقدسة ، إيران ، ١٣٨٤ ه = ١٩٦٤ م ، ص ١١٦ . ومحمد محمدي الريشهري (معاصر) ، ميزان الحكمة ، ج ٣ ، دار الحديث ، ط ٢ ، قم المقدسة ، إيران ، ١٣٧٥ ش = ١٤١٧ ه = ١٩٩٦ م ، ص ١٨٧٨ .

(١٠) يراجع هذا الحديث الشريف : يراجع هذا الحديث : جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام ـ ، مصباح الشريعة ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م ، ص ١٣ . ومحمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ج ٢ ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ، ص ٣٢ . وج ٦ ، ص ٢٥١ (الهامش) . وج ٥٧ ، ص ٣٢٤ . وج ٥٨ ، ص ٩١ ، وص ٩٩ . وج ٦٦ ، ص ٢٩٣ . وميثم بن علي بن ميثم البحراني ، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، عنى بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه : مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، إيران ، (د.ت) ، ص ٥٧ . والحديث قاله أيضًا الإمام علي ـ عليه السلام ـ . ومحمد بن علي بن إبراهيم (ابن أبي الجمهور الإحسائي) ، عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية ، ج ١ ، تحقيق : آقا مجتبى العراقي ، قدم له آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (١٣١٥ - ١٤١١ هـ = ١٨٩٧-١٩٩٠م) ، مطبعة سيد الشهداء ، ط ١ ، قم المقدسة ، إيران ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ، ص ٥٣ (الهامش) . وج ٤ ، ص ١٠٢ .

(١١) جلال الدين الدواني ، شواكل الحور في شرح هياكل النور ، ص ١٨٠ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٩١ .

(١٥) جلال الدين الدواني ، تفسير سورة الإخلاص ، ضمن كتابه : الرسائل المختارة ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

(١٦) جلال الدين الدواني ، شواكل الحور في شرح هياكل النور ، ص ١٧٤ .

(١٧) جلال الدين الدواني ، تفسير سورة الإخلاص ، ضمن كتابه : الرسائل المختارة ، ص ٤٧ .

(١٨) جلال الدين الدواني ، شواكل الحور في شرح هياكل النور ، ص ١٧١ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٢٠) جلال الدين الدواني ، شواكل الحور في شرح هياكل النور ، ص ١٧١ .

(٢١) جلال الدين الدواني ، تفسير سورة الإخلاص ، ص ٤٩ – ٥٠ .

(٢٢) جلال الدين الدواني ، شواكل الحور في شرح هياكل النور ، ص ١٧٥ .

(٢٣) جلال الدين الدواني ، تفسير سورة الإخلاص ، ص ٥٥ .

ثبت المصادر والمراجع :

ـ أ ـ أحمد تويسركاني (الدكتور) (معاصر) ، في مقدمته وتحقيقه وتصحيحه على الرسائل المختارة للدواني ، الناشر : مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ العامة ، أصفهان ، إيران ، ١٤٠٥ ه = ١٩٨٤ م .

ـ إسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى البغدادي (ت ١٣٣٩ ه = ١٩٢٠ م) ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

ـ ج ـ جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام ـ (٨٢ ـ ١٤٨ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٥ م) ، مصباح الشريعة ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ م .

ـ خ ـ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦ ه = ١٨٩٣ ـ ١٩٧٦ م) ، قاموس الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ م .

ـ ع ـ ـ عباس بن محمد رضا القمي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩ هـ = ١٨٧٧ ـ ١٩٤٠ م) ، تقديم : محمد هادي الأميني (معاصر) ، مكتبة الصدر ، (د.ط) ، طهران ، إيران ، (د.ت) .

ـ عبد الله بن محمد علي نعمة (١٣٥٣ ـ ١٤١٥ ه = ١٩١٦ ـ ١٩٩٤ م) ، فلاسفة الشيعة : حياتهم وآراؤهم ، قدم له : محمد جواد مغنية (١٣٢٢ ـ ١٤٠٠ ه = ١٩٠٤ ـ ١٩٧٩ م) ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م .

ـ عمر رضا كحالة (١٣٢٣ ـ ١٤٠٨ ه = ١٩٠٥ ـ ١٩٨٧ م) ، معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

ـ م ـ محسن بن عبد الكريم العاملي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١ ه = ١٨٦٧ ـ ١٩٥٢ م) ، أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

ـ محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ - ١١١١هـ = ١٦٢٧- ١٧٠٠ م) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ج ٢ ، مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

ـ محمد بن الحسن (أبو جعفر الطوسي) (٣٨٥ ـ ٤٦٠ ه = ٩٩٥ ـ ١٠٦٧ م) ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد ، منشورات مكتبة جامع جهلستون ، طهران ، إيران ، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .

ـ محمد بن الحسن (الحر العاملي) (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ = ١٦٢٣ ـ ١٦٩٢ م) ، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ، منشورات مكتبة المفيد ، قم المقدسة ، إيران ، ١٣٨٤ ه = ١٩٦٤ م .

ـ محمد بن الحسن (الفتال النيسابوري) (ت ٥٠٨ ه = ١١١٤ م) ، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين ، تقديم : محمد مهدي الخرسان ، منشورات الرضي ، (د.ط) ، قم المقدسة ، إيران ، (د.ت) .

ـ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢ ه = ١٤٢٧ - ١٤٩٧ م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢ ه = ١٩٩٢ م .

ـ محمد بن علي بن إبراهيم المعروف بابن أبي الجمهور الإحسائي (ت ٨٨٠ ه = ١٤٧٥ م) ، عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية ، تحقيق : آقا مجتبى العراقي ، قدم له آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (١٣١٥ - ١٤١١ هـ = ١٨٩٧-١٩٩٠م) ، مطبعة سيد الشهداء ، ط ١ ، قم المقدسة ، إيران ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

ـ محمد محمدي الريشهري (معاصر) ، ميزان الحكمة ، دار الحديث ، ط ٢ ، قم المقدسة ، إيران ، ١٣٧٥ ش = ١٤١٧ ه = ١٩٩٦ م .

ـ محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ ه = ١٧٩٧ م) ، الفوائد الرجالية ، حققه وعلق عليه : محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة الصادق ، ط ١ ، طهران ، إيران ، ١٩٨٤ م .

ـ ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٣٦ ـ ٦٩٩ ه = ١٢٣٨ ـ ١٢٩٩ م) ، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ (٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ هـ) ، عنى بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه : مير جلال الدين الحسيني الأرموي

المحدث ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، إيران ، (د.ت) .

ـ ي ـ ـ يوسف إلياس سركيس (ت ١٣٥١ ه = ١٩٣٢ م) ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، تقديم : احمد باشا تيمور ، منشورات مكتبة شهاب الدين المرعشي النجفي ، (د.ط) ، قم المقدسة ، ١٤١٠ ه = ١٩٨٩م .

مواقع إلكترونية في شبكة الإنترنت :

ـ موقع الإمام الهادي ـ عليه الصلاة السلام ـ الإلكتروني في شبكة الإنترنت ، ٢٠ / ٧ / ٢٠١٥ ، ص ١ ـ ٢ .

ـ (www.yahosein.com) ، موقع إلكتروني في شبكة الإنترنت ، ٢٣ / ٥ / ٢٠١٥ ، ص ١ ـ ٢ .